وزاحمهم بركبتيك فان القلوب الله ليحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض
الميتة بوابل السما يا بني لا تتعلم ما لم تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بني ان اردت
ان تواخي رجلا فاغضبه قبل ذلك فان انصفك عند غضبه والا فاحذره
يا بني انك منذ نزلت الي الدنيا استدبرتها واستقبلت الي الاخرة فدار انت
عليها تسير اقرب من دار انت عنها تباعد يا بني عود لسانك ان تقول
اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل النهار وهم
الليل يا بني ارج الله رجا لا يجريك على معصيته وخف الله خوفا
لا يويسك من رحمته وانما اكثرت من ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه
بذلك وسيا بي في كلام الله تعالى زيادة على ذلك واقتصرت على هذا القدر
والا فمواعظه لابنه لو اراد شخص الاكثار منها لجعل منها مجلدات
فقد اخرج ابن ابي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع عثمان جرابا
من خردل الي جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفد
الخردل فقال يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه
فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويشفي ويمرض ويرفع من يشاء
وان كان عبدا فلا بدع ان يخص محمدا صلى الله عليه وسلم ذا النسب
العالي والمنصب المنيف بالرسالة من بين قريش وان لم يكن من اهل الدنيا
المتعظمين بها ولما ذكر سبحانه ما اوصى به ولده من شكر المنعم الاول
الذي لم يشركه في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من الفظاعة
والشناعة اتبعه وصيته سبحانه وتعالى الولد بالوالد لكونه المنعم
الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى **ووصينا الانسان بوالديه**
اي امرناه ان يبرهما ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله
تعالى **حملته امه وهنا** اي حال كونها ذات وهن تحمله وبالغ بجعلها
نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف **على وهن** اي ضعف الحمل
وضعف الطلق وضعف الولادة ثم اشار الي ما لهما عليه من المنة بعد ذلك
من الشفقة وحسن الكفالة وهو لا يملك لنفسه شيا بقوله تعالى
وفصاله اي فطامه من الرضاعة بعد وضعه **في عامين** تقاسي فيهما
في منامه وقيامه مما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالى فان قيل وصى الله تعالى
بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام
لان حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين فهو ابلغ اجيب
بان الشفقة الحاصلة للام اعظم فان الاب حمله خفيفا لكونه من جملة
جسده والام حملته ثقيلا ادميا مودعا فيها وبعد وضعه وتربيته
ليلا ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك

وقوله

١٠٨

وقوله تعالى **ان اشكر لي** لاني المنعم في الحقيقة **ولوالديك** اي لكوني جعلتهما سببا
لوجودك والاحسان بتربيتك تفسير لوصينا او علة له ثم الامر بالشكر مجزوما
بقوله تعالى **الي المصير** لا الي غيري فاحاسبك على شكرك ومعاصيك
وعن القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات
الخمس فقد شكر الوالدين الله تعالى ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر للوالدين ولما ذكر تعالى وصيته بهما واكد حقه اتبعه
الدليل على ما ذكر لقمان من قباحة الشرك بقوله تعالى **وان جاهداك** اي مع ما
امرتك به من طاعتهما **على ان تشرك بي** وقوله تعالى **ما ليس لك به علم**
موافقة للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من انواع على شي من الشرك بل العلوم
كلها دالة على الوحدانية ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسببا
عنه **فلا تطعهما** اي في ذلك ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه بل خالفهما
وان ادى الامر الي السيف فجاهدهما به لان امرهما بذلك مناف للحكمة حامل
على محض الجور والسفه ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط في التقليد
لابائهم في ذلك وربما افهم ذلك الاعراض عنهما بالكلية فلهذا قال
تعالى **وصاحبهما في الدنيا** اي في امورها التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا
بهما معروفا ببرهما ان كانا على دين يقران عليه ومعاملتهما بالحلم والاحتمال
وما يقتضيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم ولما كان ذلك قد يجر الي نوع وهن
في الدين ببعض محاباة نفى ذلك بقوله **واتبع** اي بالغ في ان تتبع **سبيل** اي
دين وطريق **من اناب** اي اقبل خاضعا **الي** لم يلتفت الي عبادة غيري
وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما ولا عن توحيد الله تعالى والاخلاص
له تنبيه في هذا حث على معرفة الرجال بالحق وامر بعرض المشايخ وغيرهم
على محك الكتاب والسنة فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا
لهما اجتنب واذا كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي الاخرة كذلك كما
قال تعالى **ثم الي** اي في الاخرة **مرجعكم فانبئكم** اي افعل فعل من يبالغ
بالغ في التعقيب والاخبار عقب ذلك وسببه لان ذلك انسب
للحكمة ونعقب كل شي بحسب ما يليق به **بما كنتم تعملون** اي تجدد دون
عمله من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي من اريد واغفر لمن اريد فاعد
لذلك عدته ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه ويجازي على
مثاقيل الذر من اعماله والايتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان
تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال تعالى وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلو الباري في استحقاق التعظيم
والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما ونزل وهما في سعد
ابن ابي وقاص وامه مكثت لاجله ثلاثا لم تطعم فيها شيا وكذلك

Copyright © King Saud University